

السبت : 14/1/2017م - 15 ربيع الثاني 1438

❖ كان الحديث في الحلقة الماضية في بيان مُجمل لمعاني الأذان والإقامة.. وقد وصلتُ في الحديث في آخر الحلقة الماضية إلى الفقرة (7) من الفقرات الأساسية والمهمّة في الأذان والإقامة (حيّ على خير العمل)

تحدّثتُ عنها بشكل مُجمل.. وسأعيد ما ذكرته في الحلقة الماضية وأكمل من حيث انتهى بي الكلام.

■ وقفة عند حديث الإمام الكاظم في [علل الشرائع] الذي يُبيّن فيه العلة الظاهرة والباطنة من حذف (حيّ على خير العمل) من الأذان: (محمد بن أبي عمير أنه سأل أبا الحسن - الكاظم عليه السلام عن حيّ على خير العمل لم تُركت من الأذان؟ فقال: تُريد العلة الظاهرة أو الباطنة؟ قلت: أريدهما جميعاً، فقال: أمّا العلة الظاهرة فلئلا يدع الناس الجهاد إنكالا على الصلاة، وأمّا الباطنة فإنّ خير العمل الولاية، فأراد من أمر بتك حيّ على خير العمل من الأذان ألا يقع حتّ عليها ودعاءً إليها)

■ رواية أخرى تُبيّن المراد من (حيّ على خير العمل): (عن محمد بن مروان عن أبي جعفر - الباقر - قال: أتدرى ما تفسير حيّ على خير العمل؟ قال: قلت لا. قال: دعاك إلى البر أتدرى برّ من؟ قلت: لا. قال: دعاك إلى برّ فاطمة وولدها).

■ الرواية الأولى عن إمامنا الكاظم بيّنت أنّ معنى خير العمل التي وردت الإشارة إليها هي (الولاية).. وفي الرواية عن إمامنا أبي جعفر الباقر قال: (خير العمل البرّ بفاطمة وولدها) والمعنى واحد.. غاية ما في الأمر اختلاف في التعبير.

فالولاية هو عنوان لعلاقتنا بمحمّد وآل محمّد. (كان الله ولم يكن معه شيء، ثمّ كانت الكلمة الأتم) والكلمة الأتم تجلّت في عالمنا هذا الذي نحن فيه بمحمّد وآل محمّد.. فالكلمة الأتم هي الإسم الأعظم للذي أوجدها، وللذي تكلم بها.. ومحمّد وآل محمّد هم الإسم الأعظم والتجليّ الأتم لتلك الكلمة الأتم. الولاية عنوان لعلاقتنا ورباطتنا بمحمّد وآل محمّد.. وتتجلّى الولاية عملياً على أرض الواقع بما بيّنه إمامنا الباقر (برّ فاطمة وولدها).

■ الحديث عن برّ فاطمة وولدها ليس حديثاً بالمعنى الأخلاقي، وليس حديثاً بالمعنى الاجتماعي، وليس حديثاً عن برّ الوالدين، وبرّ الأرحام. برّ فاطمة وولدها هو أساس العقيدة. (وسأشير إلى ذلك بالإجمال).

■ وقفة عند مقطع من رواية طويلة مفضلة لإمامنا الرضا عليه السلام في [الكافي الشريف: ج1] وهو يُحدّثنا عن بعض أوصاف الإمام المعصوم: (الإمام الأئمة الرفيق، والوالد الشفيق، والأخ الشفيق، والأمّ البرّة بالولد الصغير..)

هذه المعاني معاني حقيقية.. وعقيدتنا تبتني على هذه المضامين، والبرّ بالوالدين بالمعنى الحقيقي هو البرّ بمحمّد وآل محمّد، كما أنّ صلة الرحم الحقيقية هي صلة رحم محمّد وآل محمّد.. وهذه المضامين واضحة جدّاً.

❖ وقفة عند نماذج من أحاديث إمامنا العسكري في تفسيره الشريف وهو يُحدّثنا عن المعصومين جميعاً في بيان معنى قوله تعالى {وبالوالدين إحساناً}

■ (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أفضل والديكم وأحفظهما لشرككم محمد وعلي). الوالد الحقيقي (محمد وعلي) والبرّ الحقيقي يكون لهما، والعقوق الحقيقي معهما.

■ (وقال عليّ بن أبي طالب: سمعتُ رسول الله يقول: أنا وعليّ أبوا هذه الأمة، ولحقنا عليهم أعظم من حقّ أبوي ولادتهم، فإنّا نُنقذهم - إن أطاعونا - من النار إلى دار القرار، ونُلحقهم من العبودية - أي عبودية الدنيا، والشيطان والمهانة - بخيار الأحرار).

■ (وقالت فاطمة عليها السلام: أبوا هذه الأمة محمد وعلي، يُقيمان أوّدهم ويُنقذانهم من العذاب الدائم إن أطاعوهما، ويبيحانهم النعيم الدائم إن وافقوهما).

■ (وقال الحسن بن عليّ عليهما السلام: محمد وعلي أبوا هذه الأمة، فطوبى لمن كان بحقهما عارفاً، ولهما في كلّ أحواله مُطبعاً، يجعله الله من أفضل سُكّان جنانه ويسعده بكراماته ورضوانه)

■ (وقال الحسين بن عليّ عليهما السلام: من عرف حقّ أبويه الأفضلين: محمد وعليّ وأطاعهما حقّ الطاعة قيل له: تبجح في أيّ الجنان شئت).

■ (وقالت فاطمة عليها السلام لبعض النساء: أرضي دينك مُحمّداً وعليّاً بسخط أبوي نسبك، ولا تُرضي أبوي نسبك بسخط أبوي دينك. فإنّ أبوي نسبك إن سخطا أرضاهما مُحمّداً وعليّاً بثواب جزء من ألف جزء من ساعة من طاعاتهما. وإنّ أبوي دينك مُحمّداً وعليّاً لم يقدر أبوا نسبك أن يُرضيها لآن ثواب طاعات أهل الدنيا كلّهم لا يفي بسخطهما).

■ (وقال محمد بن عليّ - الباقر عليهما السلام:- من كان أبوا دينه: مُحمّداً وعليّاً أثر لديه، وقرابتهما أكرم عليه من أبوي نسبه وقرابتهما، قال الله تعالى له: فضلت الأفضل، لأجعلنك الأفضل، وآثرت الأولى بالإيثار، لأجعلنك بدار قراري ومنادمة أوليائي أولى). هذه الأحاديث وغيرها تُشكّل لنا أساساً ثقافياً في رسم برنامج علاقتنا وعلاقتنا في هذه الحياة الدنيوية.

● فالْمُؤَدَّنُ حينَ يُؤَدِّنُ والمُقيِّمُ حينَ يذكرُ في إقامته "حيَّ على خيرِ العمل" فهو يدعو نفسه ويقول: عَجَّلْ وأسرع وأقبل على خيرِ العمل.. والعنوان الأول لخيرِ العمل: الولاية.. والولاية هنا هي البرِّ بفاطمة وآلها.

❁ البرِّ بفاطمة وآلها يتجلى في زيارتهم الشريفة. (وقفة عند جملة من كلمات العترة: أدعيتهم وزياراتهم تُبَيِّنُ هذا المعنى).

■ وقفة عند مقتطفات من زيارة الصديقة الكبرى في مفاتيح الجنان: (وَأَنَّ مَنْ سَرَكَ فَقَدْ سَرَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ جَفَاكَ فَقَدْ جَفَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ آذَاكَ فَقَدْ آذَى رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ وَصَلَكَ فَقَدْ وَصَلَ رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ قَطَعَكَ فَقَدْ قَطَعَ رَسُولَ اللَّهِ لِأَنَّكَ بَضْعَةٌ مِنْهُ، وَرُوحُهُ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ. أَشْهَدُ اللَّهُ وَرُسُلُهُ وَمَلَائِكَتُهُ: أَيُّ رَاضٍ عَمَّنْ رَضِيَتْ عَنْهُ، سَاخِطٍ عَلَى مَنْ سَخِطَتْ عَلَيْهِ، مُتَبَرِّئٍ مِمَّنْ تَبَرَّأَتْ مِنْهُ، مَوَالٍ مَنْ وَالِيَتْ، مَعَادٍ مَنْ عَادِيَتْ، مَبْغُضٍ مَنْ أَبْغَضَتْ، مَحَبِّ مَنْ أَحَبَبَتْ) هذا هو البرِّ بفاطمة. هذه المضامين والعناوين التي تحدتت عنها هذه العبائر والجمل في زيارة الزهراء هي البرِّ بفاطمة.. والبرِّ بفاطمة هو البرِّ برسول الله صلى الله عليه وآله.

■ أيضاً من فقرات زيارة الصديقة الكبرى التي تحدتت في مضمونها عن البرِّ بفاطمة: (أشهد الله وملائكته أي ولي لمن والاك، وعدو لمن عاداك، وحرب لمن حاربك، أنا يا مولاتي بك وبأبيك وبعلك والأمة من ولدك موقن وبولايتهم مؤمن ولطاعتهم ملتزم، أشهد أن الدين دينهم والحكم حكمهم..) هذه معاني البرِّ بفاطمة.

■ البرِّ بفاطمة وآلها ليس برّاً بالمعاني الاجتماعية، ليس برّاً بالمعنى الاجتماعي النسبي.. الحديث عن البرِّ بفاطمة هنا هو الحديث عن البرِّ بالمعنى الاعتقادي في أعلى مراتبه.. وجاء العنوان في (حيَّ على خيرِ العمل) متوجّهاً إلى فاطمة، لأن فاطمة هي القيمة (وزعمنا أننا لك أولياء ومصدقون وصابرون لكل ما أتانا به أبوك وأتى به وصيه، فإننا نسألك إن كنا صدقناك إلا ألحقتنا بتصدقنا لهما لنبشر أنفسنا بأننا قد طهرنا بولايتك) هذه هي الشهادة الثانية والثالثة.

ولاية الزهراء هي خيرِ العمل؛ لأن ولايتها هي التي ستكون سبباً لقبول ولايتنا لرسول الله ولأمير المؤمنين.. والإمام الصادق كان يقول: (كان أبي يُفتي بمُرِّ الحق) يعني حين يتحدت فهو يتحدت عن نهاية المضمون.

فحين يقول الإمام الباقر أن خيرِ العمل (هو البرِّ بفاطمة وولدها) فهذا يعني أننا نقف على أعتاب فاطمة، فقد وصل الأذان إلى النهايات.. وصلنا إلى فاطمة.

■ أما تفاصيل البرِّ بفاطمة وآلها فقد ذكرته الزيارة الجامعة الكبيرة حين تقول:

(أشهد الله وأشهدكم أي مؤمن بكم وما آمنتم به، كافر بعدوكم وما كفرتم به، مُستبصر بشأنكم وبضلالة من خالفكم، موال لكم ولأوليائكم، مبغض لأعدائكم ومعادٍ لهم، سلم لمن سالمكم، وحرب لمن حاربكم، محقق لما حَقَّقْتُمْ مبطل لما أبطلتم، مطيع لكم، عارف بحَقِّكم، مقرر بفضلكم، مُحْتَمِلٌ لعلمكم - أي قابلٌ ومُسَلِّمٌ لعلمكم - مُحْتَجِبٌ بذمَّتكم، معترف بكم مؤمن، بإيابكم مصدق برجعتكم، منتظر لأمركم، مرتقب لدولتكم، أخذ بقولكم، عامل بأمركم، مستجير بكم زائر لكم، لائذ عائد بقبوركم، مستشفع إلى الله عز وجل بكم، ومتقرب بكم إليه، ومقدمكم أمام طلبتي وحوائجي وإرادتي في كل أحوالي وأموري، مؤمن بسرِّكم وعلانيتكم وشاهدكم وغائبكم وأولكم وآخركم، ومفوض في ذلك كله إليكم، ومسلم فيكم، وقلبي لكم مُسَلِّمٌ، ورأيي لكم تبع ونصرتي لكم مُعَدَّةٌ حتَّى يُحيي الله تعالى دينه بكم ويردكم في أيامه - في يوم القائم ويوم الرجعة - ويظهركم لعدله، ويمكنكم في أرضه؛ فمعكم معكم لا مع غيركم، آمنٌ بكم، وتوليت آخركم بما توليت به أولكم، وبرئت إلى الله عز وجل من أعدائكم ومن الجبت والطاغوت والشياطين وحزبهم الظالمين لكم الجاحدين لحقكم والمارقين من ولايتكم والغاصيين لإرثكم، الشاكين فيكم، المنحرفين عنكم، ومن كل وليجة دونكم وكل مطاع سواكم، ومن الأمة الذين يدعون إلى النار. فثبنتي الله أبداً ما حييت على مواليتكم ومحبتكم ودينكم، ووفقتي لطاعتكم، ورزقني شفاعتكم، وجعلني من خيار مواليكم التابعين لما دعوتهم إليه، وجعلني ممن يقتض آثاركم، ويسلك سبيلكم، ويهتدي بهداكم، ويحشر في زمركم ويكر في رجعتكم، ومُملِكٌ في دولتكم، ويُشرف في عافيتكم ومُمكنٌ في أيامكم - يوم القائم ويوم الرجعة- وتقر عينه غداً برويتكم.. كل هذه المعاني هي تفاصيل البرِّ بفاطمة.

■ والخلاصة هي في هذه العبارات: (بأي أنتم وأمي ونفسي وأهلي ومالي، من أراد الله بدأ بكم، ومن وحده قبل عنكم، ومن قصده توجه إليكم، موالٍ لا أحصي ثنائكم، ولا أبلغ من المدح كنهكم ومن الوصف قدركم، وأنتم نور الأخيار وهداة الأبرار وحجج الجبار، بكم فتح الله وبكم يختم وبكم ينزل الغيث، وبكم يُمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبكم يُنقَسُ الهم ويكشف الضر، وعندكم ما نزلت به رُسُلُهُ وهبطت به ملائكته)

● هذه المضامين هي التي يُريد منا أهل البيت أن نتعلمها وأن ننشرها وأن نجعل الثقافة الشيعية تموج بهذا الفكر وتفوح بهذا العطر.. ولكن للأسف هذه المضامين قد نُفِيت من ساحة الثقافة الشيعية وحلَّ شيئاً آخر بديلاً منها! فإن كان أهل السقيفة قد أزالوا (حيَّ على خيرِ العمل) لفظاً، فإن الشيعة قد أزالوا (حيَّ على خيرِ العمل) معنىً ومضموناً من صلاتهم.. لأنهم حين يقولون: أن الشهادة الثالثة ليست جزءاً من الأذان والإقامة وليست جزءاً من التشهد الوسطي والأخير والسلام، فهم بذلك يحذفون معنى (حيَّ على خيرِ العمل) بنحو أفضل من حذف السقيفة لـ(حيَّ على خيرِ العمل).. حينما يُقال أن (أشهد أن علياً ولي الله) ليست جزءاً من الأذان، وليست جزءاً من الصلاة فهذه إساءة أكبر من حذفها بالكامل!

● الفقرة (8) من عبارات الأذان والإقامة وهي خاصة بالإقامة: "قد قامت الصلاة" و (قد) إذا جاءت قبل الفعل المضارع فإنها تُفيد التقليل والإحتمال، أما حينما تكون (قد) سابقة للفعل الماضي فإنها تُفيد تحقيق وتأكيده وقوع الفعل. (قد قامت الصلاة) أي أنّ الصلاة قد تحققت وتأكّدت بإقامتها.

■ إقامة الصلاة ليس المراد منها أن يأتي الإنسان بأفعالها وشروطها بحسب الطقوس.. فإنّ النواصب يفعلون ذلك (عامله ناصبة) ولطالما أطالوا الركوع والسجود، وعلا منهم أنين وبكاء!

إقامة الصلاة هي بولاية عليّ، هي بإمامة إمام زماننا الحجّة بن الحسن.. كما يقول إمامنا الرضا عليه السلام في [الكافي الشريف: ج1] في حديث طويل، يقول: (إنّ الإمامة أسّ الإسلام النامي وفرعه السامي، بالإمامة تمام الصلاة والزكاة والصيام والحجّ والجهاد وتوفير الفئ والصداقات وإمضاء الحدود والأحكام، ومنع الثغور والأطراف).. الإمامة هي الأصل وهي الفرع.. هذا هو منطق أهل البيت عليهم السلام. فالصلاة تمامها وكمالها بالإمام صلوات الله عليه وهو نفس المضمون الموجود في روايات أخرى (تمام الحجّ بقاء الإمام). والأحاديث كلّها تصبّ باتّجاه واحد، باتّجاه البرّ فاطمة وآل فاطمة الأطهار.

■ من أفضل النصوص التي نستطيع أن نستشفّ منها معنى إقامة الصلاة ما جاء في حديث المعرفة بالنورانية، حين يقول سيّد الأوصياء:

(إنّه لا يستكمل أحد الإيمان حتّى يعرفني كُنّه معرفتي بالنورانية، فإذا عرفني بهذه المعرفة فقد امتحن الله قلبه للإيمان وشرح صدره للإسلام وصار عارفاً مُستبصراً. ومن قصر عن معرفة ذلك فهو شاكٌّ ومُرتاب، ياسلمان ويا جندب قال: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: معرفتي بالنورانية معرفة الله عزّ وجلّ ومعرفة الله عزّ وجلّ معرفتي بالنورانية وهو الدين الخالص الذي قال الله: {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة}..) فالآية التي ذكرها سيّد الأوصياء تتحدّث عن إقامة الصلاة، والقيّمة على الدين هي فاطمة كما مرّ علينا في الحلقات السابقة.

■ ثمّ يكمل سيّد الأوصياء ويقول: (ما أمروا إلا بنبوة محمّد، وهو الدين الحنيفيّة المُحمديّة السّميحة، وقوله: {يقيمون الصلاة} فمن أقام ولايتي فقد أقام الصلاة، وإقامته ولايتي صعبٌ مُستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرّب أو نبيّ مُرسَل أو عبدٌ مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان..)

● قد يقول قائل: أنّ الحديث يقول (وإقامته ولايتي صعبٌ مُستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرّب أو نبيّ مُرسَل أو عبدٌ مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان) فهو تكليف يصعب علينا.

وأقول: نعم إقامة الولاية تكليفٌ صعب إذا كانت ساحة الثقافة الشيعية مشحونة بثقافة المُخالفين والفكر الناصبي.. لو أنّ ساحة الثقافة الشيعية تتبني تفسير الإمام العسكري، وتكون ثقافة الساحة الشيعية مأخوذة من تفسير الإمام العسكري لصارت هذه الأمور بديهية في الوسط الشيعي العام.. ولكن ماذا نضع مع مراجعنا وحوزاتنا التي حكمت بإعدام أقوال أمّتنا صلوات الله عليهم أجمعين!

■ إلى أن يقول سيّد الأوصياء: (اعلم يا باذر أنا عبد الله عزّ وجلّ وخليفته على عباده، لا تجعلونا أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم، فإنّكم لا تبلغون كُنّه ما فينا ولا نهايته، فإنّ الله عزّ وجلّ قد أعطانا أكبر وأعظم ممّا يصفه واصفكم أو يخطر على قلب أحدكم فإذا عرفتمونا هكذا فأنتم المؤمنون. قال سلمان: قلتُ: يا أبا رسول الله ومَن أقام الصلاة أقام ولايتك؟ قال: نعم يا سلمان، تصديق ذلك قوله تعالى في الكتاب العزيز: {واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين} فالصبر رسول الله والصلاة إقامة ولايتي، فمنها قال الله {وإنها لكبيرة} ولم يقل: وإنهما لكبيرة؛ لأنّ الولاية كبيرةٌ حملها إلا على الخاشعين، والخاشعون هم الشيعة المستبصرون..)

أفضل نصّ في معنى إقامة الصلاة هو هذا الحديث.. إقامة ولاية عليّ هي إقامة الصلاة، وإقامة ولاية عليّ لن تتحقّق إلا بمعرفته بالنورانية.. وهذه المضامين لا تتجلّى بشكل واضح إلا من التفكير والتدبّر في الزيارة الجامعة الكبيرة وخصوصاً في المقطع الذي اقتطفته لكم والذي يتناول معنى البرّ فاطمة وآلها الأطهار.

■ ما تقدّم من كلام في هذه الحلقات وفي الحلقات المُتقدّمة كلّها كان في الأجواء المُمهّدة للصلاة، أمّا حريم الصلاة فيبدأ من تكبيرة التحريم (الإحرام)، ففانون الصلاة عندنا هو: أنّ الصلاة تبتدئ بالتحريم وتنتهي بالتسليم، وحريم الصلاة يبتدئ من (تكبيرة الإحرام).. وكلّ التفاصيل السابقة التي مرّت عن الطهارة والأذان والإقامة وأدعية التوجّه للصلاة هي بمثابة عملية تمهيد للدخول إلى الصلاة الواجبة.. كلّ الذي مرّ يؤسس لثقافةٍ لجوّ شيعي تمتدّ جذور ثقافته إلى منهج الكتاب والعترة. (فالحديث المُتقدّم هو محاولة لتشكيل ساحة، لإعطاء مفردات، لوضع بديهيات، لتأسيس أسس لثقافة الطهارة والصلاة بحسب ما يُريده إمام زماننا صلوات الله عليه لا بحسب ما جاء في الفكر الناصبي).

● قضية أريد أن ألفت أنظاركم إليها:

حينما يجلس المُصلّي بين السجدين أو بعد السجدين، أو حينما يجلس للتشهُد أو التسليم، فإنّه يجلس بكيفية معيّنة - بحسب ما جاء في آداب الصلاة عند أهل البيت عليهم السلام - يجلس المُصلّي بهذه الطريقة: أن يرفع رجله اليمنى وي طرح اليسرى (بشكل مائل) والرجل اليمنى تكاد تكون قائمة.

هذه الحركة لها دلالة ولا بُدَّ للمُصلي أن يعرف معناها، وإلا لو كان يُصلي ولا يعرف دلالة هذه الحركة فهو لم يكن مُقبلاً على صلاته بكلِّ أجزائها، ستكون صلاته مخرومة مبتورة إذا لم يعرف هذه الرميّة.

● أما دلالة هذه الحركة فبيّنها سيّد الأوصياء عليه السلام في جوابه على سؤال سائل سأله، فقال:

(يا ابن عمّ خير خلق الله ما معنى رفع رجلك اليمنى وطرحك اليسرى في التّشهُد؟ قال: تأويله أَللّهم أمت الباطل وأقم الحق) فأين نحن وأين هذه المعاني؟!)

هذه العبارة التي قالها الأمير تأتي بعد رمزية "السجود" ورمزيّة السجود تُشير إلى "الرجعة" وسيأتي بيان ذلك حين نصل إلى جزئية "السجود".

الباطل يُمات ويُقام الحقُّ هذا الأمر يتحقّق عند ظهور الإمام الحجّة.. فكلُّ أجزاء الصلاة من أولها إلى آخرها، بما فيها هذه الحركة التي يتصوّر المُصلي أنّها مُهملة لا معنى لها، كلّ هذه الأجزاء مُرتبطة بإمام زماننا.. وهذا معنى قول سيّد الأوصياء (أنا صلاة المؤمنین وصيامهم).

فإذا كانت هذه الحركة (طرح الرجل اليسرى وإقامة اليمنى) لها دلالة ولها معنى بتلك الإشارة العميقة جدّاً التي أشار لها سيّد الأوصياء، فما بالكم إذن بالأركان الرئيسة للصلاة.. ماهي دلالاتها؟!)

(وكما بيّنت سابقاً هذا الحديث هو أدنى مُستوى من معاني الصلاة في ثقافة الكتاب والعترة، ولم أتحدّث في أعلى المُستويات).

❖ وقفة عند البوابة إلى حريم الصلاة، وهي: "تكبيرة الإحرام"

إذا كانت الصلاة مدينة أو مملكة، فإنَّ باب هذه المدينة وباب هذه المملكة هو: تكبيرة الإحرام.. من هنا تبدأ الصلاة.. مثلما بدأ الأذان والإقامة بالتكبير، فالصلاة أيضاً تبدأ بالتكبير.

■ تكبيرة الإحرام (الله أكبر) جملة وجيزة ولحظة قصيرة، ولكنها تتركز فيها كلّ معاني الولاء.

■ وقفة عند حديث إمامنا الكاظم مع هشام بن الحكم في [علل الشرائع: ج2]

(عن هشام بن الحكم عن أبي الحسن موسى - الكاظم عليه السلام: قال: قلتُ له: لأيّ علّة صار التكبير في الافتتاح سبع تكبيرات أفضل؟

قال الإمام: يا هشام إنّ الله تبارك وتعالى خلق السماوات سبعاً والأرضين سبعاً والحُجُب سبعاً، فلما أُسري بالنبي وكان من ربه كقاب قوسين أو أدنى رُفِع له حجاب من حُجبه فكَبَّر رسول الله وجعل يقول الكلمات التي تُقال في الافتتاح، فلما رُفِع له الثاني كَبَّر، فلم يزل كذلك حتّى بلغ سبع حُجُب وكَبَّر سبع تكبيرات، لذلك العلّة يُكَبَّر في الافتتاح في الصلاة سبع تكبيرات..)

● من مندوبات الصلاة في ثقافة العترة: أنّه يُستحبُّ للمُصلي إذا أراد أن يأتي بمندوبات، فيُستحبُّ له أن يُكَبَّر "سبعاً" لتكبيرة الإحرام.. وهنا هشام يسأل الإمام عن علّة التكبيرات السبعة في افتتاح الصلاة، والإمام عليه السلام يُخبره أنّ علّة هذه التكبيرات السبعة هي أنّها تُشير وترمز إلى هذه الحُجُب السبعة التي رُفِعَت لرسول الله في الملأ الأعلى، وكان رسول الله يُكَبَّر عند رفع كلّ حجاب.

● فكما أنّ الكعبة في الروايات هي صورة رمزية في هذا العالم للبيت المعمور في السماء الرابعة، والبيت المعمور صورة للعرش، والعرش مُحيط بالكرسي الذي وسع السماوات والأرض.. وآل محمّد صلوات الله عليهم مُحدقون بالعرش (وجعلكم بعرشه مُحدقين). فكما أنّ طواف الملائكة بالبيت المعمور وطواف الحُجّاج بالكعبة هي صور تتطابق وتتناسق وتتسق وتستوسق، فكذلك هي الصلاة لو رجعنا إلى تفاصيل تشريعها الواردة في معراج التشريع، فصلاتنا هي صورة للذي جرى في الملأ الأعلى في معراج رسول الله صلى الله عليه وآله.. جعلت بهذه الهيئة تنزيهاً عن الكِبَر الإِبليسِي. فهذه التكبيرات السبعة هي صورة مُنزلة في عالم الصلاة في العالم الأرضي البشري لذلك الذي جرى في عالم الحُجُب (فيما بعد العرش).

■ وقفة عند حديث الإمام الباقر عليه السلام في [علل الشرائع: ج2]: (عن زرارة عن أبي جعفر - الباقر عليه السلام قال: خرج رسول الله إلى الصلاة وقد كان الحسين بن عليّ أبطأ عن الكلام، حتّى تخوّفوا أن لا يتكلّم وأن يكون به حُرس، فخرج به رسول الله حامله على عاتقه وصَفَّ الناس خلفه فأقامه رسول الله على يمينه، فافتتح رسول الله الصلاة، فكَبَّر الحسين حتّى كَبَّر رسول الله سبع تكبيرات وكَبَّر الحسين، فجرت السُنّة بذلك..)

أصل التشريع في الملأ الأعلى هو ارتفاع الحُجُب السبعة، وأصل التشريع في العالم الأرضي تجلّى بالتكبيرات الحُسَينية السبعة.

■ ولأولئك الذين يستكثرون أن يكون أصل تشريع التكبيرات السبع في الصلاة في العالم الأرضي مُرتبط بالحسين.. فهذه آيات سورة مريم تُحدّثنا أنّ عيسى في أول يوم من أيام ولادته نطق وذكر الصلاة في كلامه، في قوله تعالى: {فأشارت إليه قالوا كيف نُكلّم من كان في المهدي صبياً} قال إنّني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبياً* وجعلني مُباركاً أين ما كُنْتُ وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمتُ حياً}. فعيسى وهو في المهدي تكلم بهذه الكلمات، وذكر الصلاة.. فهل حين تحدّث عن الصلاة والزكاة وهو في المهدي لا يعرف أحكامها ولا يعرف عِلل تشريعها؟! فما بالكم بالحسين صلوات الله عليه!)

■ قد يسأل سائل: لماذا تكبيرة الإحرام في تشريعها هذا فُرنَت بالحسين؟ لماذا تكبيرة الإحرام وبداية الصلاة حُسَينية؟ كما أنّ الأذان زهرايُّ (حيّ على خير العمل).

وأقول: تكبيرة الإحرام حُسينية، وتكبيرة الإحرام مربوطة بالحُجُب الإلهية العليا التي هي أقدس من العرش، لأنَّ السجود على تراب الحسين يخرق الحُجُب السبع، فهذا يُشير إلى أنَّ هذه التكبيرات السبع الحُسينية تخرق الحُجُب السبع.

■ وقفة عند حديث الإمام الصادق في كتاب [مَن لا يحضره الفقيه: ج1]: (السجود على طين قبر الحسين يُنور إلى الأرض السابعة).

■ وقفة عند حديث معاوية بن عمَّار في كتاب [مصباح المُتَهَجِّد]

(عن معاوية بن عمَّار قال: كان لأبي عبدالله خريطة ديباج صفراء - أي كيس مصنوع من الديباج وهو نوع من أنواع الحرير - فيها تُربة أبي عبدالله، فكان إذا حضرتُ الصلاة صبَّه على سجَّادته وسجد عليه، ثمَّ قال: السجود على تربة الحسين يخرق الحجب السبع). هذا تراب يُنسب إلى الحسين يخرق الحُجُب السبع، ويُنور إلى الأرض السابعة.. أمَّا مَن هو الحسين، فهذا سؤال لا جواب له. فهذه تكبيرة الإحرام تكبيرة حُسينية، والتكبيرات الحُسينية ترمز إلى أنَّ التكبير يخرق الحُجُب السبع، ولكنَّ الحسين جاءنا بتراجه الذي يخرق الحُجُب السبع ويُنور إلى الأرض السابعة.

■ بل إنَّ تكبيرة الإحرام ليست حُسينية فقط، إنَّها (حُسينية فاطمية).. والقرآن هو الذي يُبيِّن ذلك لنا في سورة الكوثر {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكوثر* فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَاَنْحِرْ* إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ}. هل عندكم شك أنَّ الكوثر فاطمة؟ الآيات تقول: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَاَنْحِرْ} هذه الفاء تفرعية.. يعني يتفرَّع على إعطاء الكوثر {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَاَنْحِرْ} وأمَّا المراد من النحر فنأخذه من كلمات العترة.

■ وقفة عند حديث الإمام الصادق في [تفسير البرهان: ج8]

(عن عمر بن يزيد قال سمعت أبا عبد الله يقول في قوله تعالى: {فصل لربك وانحر} قال: هو رفع يديك حذاء وجهك)

■ وقفة عند حديث آخر للإمام الصادق في [تفسير البرهان: ج8]: (عن جميل قال سألت أبا عبد الله عن قوله عزَّ وجل {فصل لربك وانحر} فقال بيده هكذا، يعني استقبل بيديه حذو وجهه القبلة في افتتاح الصلاة)

■ وقفة عند حديث إمامنا الباقر في [الكافي الشريف]: (في قوله تعالى: {فصل لربك وانحر} قال عليه السلام: النحر: الاعتدال في القيام، أن يُقيم ضلبه ونحره - في مواجهة القبلة-). فتكبيرة الإحرام في ثقافة العترة حُسينية زهرائية.

❖ تكبيرة الإحرام هي البوابة للصلاة، وهذه البوابة فتحتها الحسين صلوات الله عليه.. بل إنَّ حتَّى هذه الحركات والإشارات هي مأخوذة من أجواء فاطمة صلوات الله عليها.. فحين نرفع أيدينا في تكبيرة الإحرام إنَّنا نُعلن التسليم والخضوع بأن لا شيء عندنا بأيدينا، كل شيء منكم وإليكم يا آل محمَّد.. قد غسلنا أيدينا بماء الطُّهر العَلَوِي.. تحت خيمة فاطمة، وها هو الحسين يفتح البوابة بتكبيرة الإحرام.. وها نحن لنحرم في الصلاة بعد أن أُعطينا الكوثر (لنُبشِّر أنفسنا بأنَّا قد طهرنا بولائتكِ)

❖ غداً أكمل الحديث في الخطوة الأهم بعد تكبيرة الإحرام.